بـحـث بعـنـــوان

التّصوير والنّحت من منظور إسلامي

إعـــــداد:

الدكتور جبر خضير البيتاوي

أستاذ مساعد

بقسم اللغة العربية

كلية الآداب

جامعة النّجاح الوطنية

مقدّم إلى

المؤتمر العلمي الفني الفلسطيني الثاني

الفن والتّراث الشعبي الفلسطيني " واقع وتحديات"

كلية الفنون

جامعة النجاح الوطنية

نابلس

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

التّصوير والنّحت من منظور اسلاميّ

مقدّمة:

يقوم هذا البحث بدراسة إشكالية موقف الإسلام من التّصوير والنّحت ، فهناك من العلماء و الجماعات الاسلامية من يعدّونها شركا وحراماً مطلقاً، ومن ذلك ما نقله الشيخ دندل جبر في كتابه "حكم الإسلام في الصور والتصوير"، فيقول : "التصوير حرام في شريعتنا، وقد ورد تشديد الوعيد على المصوّرين، وفعل التصوير مطلقاً" لأنه مضاهاة لخلق الله، والسنة النبوية جاءت بالنهي على عمل المصوّر والتصوير، والنهي عن اتخاذ الصور والتنفير منها".

وقد أورد فتوى للشيخ يوسف القرضاوي بتحريم التماثيل وصناعتها والاشتغال بها في كتابه الحلال والحرام يقول فيها :"حرّم الإسلام على المسلم أن يشتغل بضاعة التماثيل وإن كان لغير المسلم، [١] ونقل آراء علماء يحرمون التصوير منهم الشيخ عبد العزيز بن باز وغيره. وفي تحريم التصوير نجد الشيخ عبد العزيز بن باز يجيب عن سؤال : ما قولكم في حكم التصوير الذي عمّت به النفوس وانهمك به الناس ؟ فأجاب الشيخ: فقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي "ص" في الصحاح والمسانيد والسنن الدالة على تحريم تصوير كل ذي روحٍ آدمياً أو غيره ، ولعن المصورين، وبيان أنهم أشّد الناس عذاباً يوم القيامة [٢].

و ترتكز هذه الدّراسة على دحض مقولة تحريم الإسلام للنحت والتصوير عند بعض العلماء المحدثين، وجماعات إسلامية الذين يعدّونه شركاً وحراماً مطلقاً. وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه المزاعم بوصفها وهماً محضاً لا يقوم على أي دليل . وسبيلنا هو التحقق من المصادر الإسلامية في القران والسنة وتوضيح أراء الفقهاء القدماء والمحدثين واجتهاداتهم في موضوع التّصوير والنّحت .

وبالرجوع إلى المصادر اللّغوية للتّعرف على كلمة التّصوير والنّحت نجد ابن منظور يقول عن التصوير : المصوّر وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها فأعطى كلاً منها صورة خاصّة و هيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها ، قال تعالى : ﴿ في أي صورة ما شاء ركّبك﴾ [٣].

والجمع صُورٌ وصِور، وقد صوّره فتصوّر، وصورة الله صورة حسنة فتصور. وفي حديث ابن مقرن " أما علمت أنّ الصورة محرّمة "؟ أراد بالصّورة الوجه وتحريمها المنع من الضرب واللّطم على الوجه ، وفي الحديث كره أن تعلّم الصورة ، أي يجعل في الوجه كيّ او سمة ، وتصّورت الشيء : توهمت صورته فتصوّر لي ، والتّصاوير : التّماثيل وفي الحديث أتاني الليلة ربّي في أحسن صورة . قال ابن الأثير : الصورة : ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته [٤] .

نجد الذين حرّموا التّصوير يستندون على حديث الرّسول "ص" القائل: "أما علمت أنّ الصورة محرّمة" ولكن علماء اللغة حينما أرادوا توضيح هذا الحديث وتفسيره ، فنجد أهمّ المصادر اللغوية عند العرب و نعني بذلك ابن منظور في معجمه لسان العرب أنّ المقصود بالصورة هنا في هذا الحديث الوجه وتحريمها يعني المنع من الضرب.

وضع عمر بن الخطاب قاعدة شرعية حين قرأ رجل آية في القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾[٥] . فقرأها بكسر لفظ الرسول، فقال أعرابي كان مستمعاً إذا كان الله قد برأ من الرسول فأنا أبرأ من الرسول، فقال عمر إنا سمعناها من الرسول بالضم وليس بالكسر، ثم قال : "لا يعلم الناس القرآن إلا عالم باللغة". ولذلك فإن ضعف الكثيرين في إعطاء الأحكام الشرعية وتحريم ما أحّل الله، مرده لجهلهم بحقيقة اللغة وفهمها الفهم الصحيح.

أما النّحت فيعني النّشر والقشر، والنّحت: نحتُ النّجار الخشب. نَحَتَ الخشب ونحوها ينحتها وينحتها نحتاً، فانتحتت والنحاتة ما نُحِتَ من الخشب. ونَحت الجبل ينحته : قطعه وهو من ذلك وفي التّنزيل :﴿ وتنحتون من الجبال بيوتاً آمنين ﴾[٦] والنحائت: آبار معروفة صفة غالبة ، لأنها نُحتتْ أي قُطعت. والنحيتة : الطبيعة التي نحت عليها الإنسان، أي قطع، ونحت المرأة يُنحِتُها نكحها[٧].

وباديء ذي بدء فإن القران الكريم لم يتخذ من التصوير للأحياء كما يقول الدكتور محمد عمارة موقفا معادياً باطلاق وتعميم ...بل لقد أناط الأمر بالمقصود والغايات والنتائج والثمرات ..." فاذا كانت الصور والتماثيل وسائل للشرك بالله وسبلاً ينحرف البعض بتعظيمها عن عقدة التوحيد ، كان الرفض لها والتحريم لصنعها هو موقف القرآن . أما اذا كانت لمجرد الزينة والتجّمل والجمال ، ولإبراز براعة الإنسان وقدرته ولتجميل الحياة وتنمية الحسّ الجمالي عند الإنسان ، وكذلك إذا كانت لتخليد القيم والمعاني والمآثر الطّيبة والجميلة ، فإنها عندئذٍ تصبح من الطّيبات المباحة ، بل والمقصودة المرغوبة، باعتبارها من نعم الله على الإنسان"[٨].

فلسفة الجمال عند المسلمين

هناك من المسلمين من يظنّون خطأً أنّ الإسلام ضد الجمال، وهناك فصامٌ نكِدٌ بينهما، وهؤلاء يظنّون أنّ المسلم يجب أن يظهر متجهماً عبوساً لا تظهر عليه آيات الزينة والبهجة والجمال، وهؤلاء يعارضون النص القرآني الذي دعا إلى إظهارهم، قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلِّ مسجدٍ وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا، إنّه لا يحبُّ المسرفين * قل من حرّم زينة الله التي أخرجها لعباده والطّيبات من الرزق * قل هي للذين آمنوا في الحياة الدّنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [٩].

وفي ذلك يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية :

" ولا يكتفي السياق بالدعوة إلى اتخاذ الزّينة عند كل مسجد ، وإلى الاستمتاع بالطّيب من الطّعام والشّراب؛ بل يستنكر تحريم هذه الزينة التي أخرجها لعباده ، وتحريم الطيبات من الرزق ، فمن المستنكر أن يُحرّم أحد –برأيه– ما أخرجه الله للناس من الزّينة أو من الطّيبات. فتحريم شيء أو تحليله لا يكون إلا بشرع من الله"(١٠). وتؤكد هذه الآيات أنّ هذه الزينة والطيبات للمؤمنين في الحياة الدنيا ، وأنّ الله سيعطيهم في الآخرة مثلها وزيادة. والحقيقة أن منهج الإسلام في الجمال والفنون يقوم على أنّ هذا الكون فيض من جمال ونور المكّون وهو الله.

إن نظرة متفحصة ومتأنية للآيات القرآنية لمفهوم الجمال تُدرك هذه الحقيقة . يقول تعالى ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا منه خضرا نُخرج منه حباً متراكماً ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنّات من أعنابٍ والزيتون والرّمان متشابهاً وغير متشابه، أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلك لآيات لقومٍ يؤمنون﴾ (١١).

يقول سيد قطب في تصوير جمال هذه المشاهد: " والجمال هو السمة البارزة هنا ...الجمال الذي يبلغ حدّ الروعة ...المشاهد منتقاة وملتقطة من الزّاوية الجمالية والعبارات كذلك في بنائها اللفظي الإيقاعي، وفي دلالتها والمدلولات أيضاً. على كل ما تزخر به الحقيقة الأصيلة في هذه العقيدة، تتناول هذه الحقيقة من الزّاوية الجماليّة ، فتبدو الحقيقة ذاتها، وكأنما تتلألأ في بهاء. ومما يوحي بالسّمت الجمالي السّابغ ذلك التّوجيه الرّباني إلى تملي الجمال في ازدهار الحياة وازدهائها : ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾...فهو التوجيه المباشر إلى الجمال الباهر... للنظر والتملي والاستمتاع الواعي.

ثم ينتهي هذا الجمال إلى ذروته التي تروع وتبهر في ختام الإستعراض الكوني الحي، حين يصل إلى ما وراء هذا الكون الجميل البهيج الرائع، إلى بديع السموات والأرض ، الذي أودع الوجود كل هذه البدائع فيتحدث عنه سبحانه حديثاً لا تنقل روعته إلاّ العبارة القرآنية بذاتها : ﴿لا تدركه الأبصار

وهو اللطيف الخبير﴾ [١٢] .ان الله تعالى يطلب من الإنسان أن ينظر في جمال الكون ، ويستجلي أسراره، ويستقبل تأثيراته، ويستمتع بمتاعه ويعتبر بعبرته . فهذا الجمال الكوني هو فيض من قيوم هذا الكون، وهو رب العالمين.

والله تعالى يأمر المؤمنين بأن يستمتعوا بجمال السماء والأرض وزينتهما ، يقول تعالى : ﴿إنّا زيّنا السّماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظاً من كل شيطان مارد﴾[١٣] فهذه الآية تعطي دلالة مهمة وهي أنّ الله قد أبدع جمال السماء، وزيّنها الكواكب . فهي ليست منفعة مادية ، وإنّما هي زينة ومتعة ، وجمال حسيّ. فإن طبع الإنسان السوي يميل إلى الجمال والزينة، فهي مريحة للنفس، ومتعة للجمال، فإن الروح تسمو بالجمال ، وتنتعش بالزينة والصفاء .

كما أن جمالية الجسد مجلبة لضياء الروح والنفس ، مما يبعدها عن مجانسة البهائم . لذلك نرى الإسلام يدعو إلى التمتع بجمال هذا الكون الجميل[١٤] . وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم﴾[١٥]. فالقرآن الكريم يحث المسلم على التمتع بما أبدعه الخالق في السماء من زينة الكواكب والنجوم ، التي هي مصدر النور والضياء، والزينة والبهاء. وهكذا نجد أن الإسلام قد عالج فلسفة الجمال على أنها مظهر عبادة وتدبر وتفكير، بل هي مظهر الزّينة والجمال لصورة الخالق . فكل ما في هذا الكون يبين مظهر الإبداع العظيم للكون والمكوّن. كما أن القرآن الكريم بعد أن جعل نظرة المسلم علوية ففيه يراقب ويُشاهد البهاء والجمال في أعالي السّماء ، فهو يحثه على مشاهدة إبداع الخالق في مخلوقاته في الأرض.

ففي تجليات الخالق في صورة الحيوان تبدو واضحة أنه ليست للمنفعة فقط ، وهذا تكريم كبير لهذا الإنسان الكريم على الله. بل إنّ الغاية من الخلق – إضافة لما ذكر– هو إبراز الجمال والزينة لهذه المسخرات الكونية وهي غاية المنعم على عباده. في ذلك يقول رب العالمين : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم

تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس. إن ربكم لرؤوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون﴾[١٦] .

فليست المنفعة المادية كما يقول الدكتور – محمد عمارة– فقط هي غاية خلقها وتسخيرها للانسان ، إن الجمال والزينة كذلك منفعة محققة ولازمة أيضاً للإنسان . والبحار التي سخرها للانسان لا تقف منافعها عند المنافع المادية ، اللحم الطري. وانما ابتغاء الحلية والزينة والجمال أيضاً من منافعها"[١٧] .

موقف القرآن الكريم

فرّق القرآن الكريم بين التّصوير من أجل الزّينة والجمال ، وبين الأصنام التي تعبد من دون الله. ولهذا نجد القرآن يحرم التماثيل وهي الاصنام التي كانت للعبادة من ذلك ما ذكره القرآن الكريم في قوله : ﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكُنّا به عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ قالوا: وجدنا أباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحقّ أم أنت من اللاعبين ؟ قال بل: ربكم وربّ السّموات والأرض، الذي فطرهنّ، وأنا على ذلك من الشاهدين ﴾ [١٨].

ولم يكن الموقف القرآنّي من هذه التماثيل موقف الرافض والمعاند ، بل إن القرآن الكريم بين أن الله تعالى أمر بتحطيم هذه التماثيل والأصنام التي تعبد من دون الله كما فعل ابراهيم إذ قام بتكسيرها كلها، فلما رجع القوم شاهدوا ما فعله الخليل إبراهيم بأصنامهم من الاهانة والاذلال الدال على عدم ألوهيتها وعلى سخافة عقول عابديها" [١٩].

ولهذا نجد أن إبراهيم قام بتحطيم هذه الاصنام التي تعبد من دون الله، كما قال تعالى : ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أُفّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [٢٠].أي إذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضرّ، فلم تعبدونها من دون الله ؟. ولهذا يطلب منهم التدبر في

أحوالهم من الضلال والكفر الغليظ الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر، فأقام عليهم الحجة وألــزمهم بها " [٢١].

ولهذا كان التحريم لهذه الأصنام والتماثيل عبادة وصناعة، وقد حذر الرسول من المصور الــذي يصور تماثيل الأصنام التي تعبد من دون الله بالعذاب الشديد يوم القيامة، قال رسول الله "ص" "أشد الناس عذاباً مُمثّل من الممثلين، أي مصور الأصنام والتماثيل التي كانت العرب يعبدونها في الجاهلية.

هذا ما ذكره ابن منظور حين تحدث عن التماثيل، فقال: التّمثال : الصّورة ، والجمــع التماثيــل ، والتمثال : اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله، وجمعه تماثيل [٢٢] .فالإســلام أمــر بتحــريم الأصنام التي تتخذ آلهة من دون الله ، وكانت تسمى عند العرب الأوثان، وهذا ما ذكره ابن منظور فــي معجمه إذ عرّف الصنم فقال : الصنم: معروف واحدُ الأصنام ، وقال ابن سيده: وهو ينحت مــن خشــب ويُصاغُ من فضة ونحاس ، والجمع أصنام ، وهو ما اتخذ إلها من دون الله [٢٣].

وما صنعه إبراهيم مع "التماثيل" المعبودة هو ما صنعه خاتم المرسلين محمد "ص" عندما طهّر شبه الجزيرة العربية من كل أثر لها، وأذّن في النّاس يومئذٍ وهو يحطمها "[٢٤]، وهو يقرأ قوله تعالــى ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾ [٢٥].

في المقابل فقد عرض القرآن الكريم باللفظ عن التماثيل ، فكان في معرض تعداد نعم الله على نبيه سليمان عليه السلام حينما لم ترتبط بالشرك . فلقد ذكر القرآن الكريم التماثيــل ، وصــنعها وصــانعيها باعتبارها من نعم الله على نبيه سليمان ، فهو قد سخر له الريح وأتاح له عيناً تفيض بالنحــاس المــذاب (القطر) ، وسخر له الجنّ تصنع له بعضاً من زينة الحياة الدنيا وجمالها، بيوتاً عالية محاريب وحفراً كبيرة (جفان) وقدوراً راسيات ، وأيضاً " تماثيل من زجاج ونحاس ورخام تصور الأحياء ، بل وتصور الأنبياء والعلماء كما يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى :﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأرسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقــه مــن عــذاب

السعير، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابِ وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور﴾ " [٢٦] .

و يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :" لما ذكر الله تعالى ما أنعم به على داود عُطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الريح له، تحمل بساطه غدوها شهر، ورواحها شهر . و قال الحسن البصري : كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بأصطخر يتغذى بها دائماً فيبيت بكابل ، وبين دمشق وكابل شهران، ثمّ يقول : وسخرنا له الجنّ يعملون له بين يديه بإذن ربه أي بقدره وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات . المحاريب البناء الحسن، وهم أشرف شيء في المسكن وصوره ، وقال مجاهد المحاريب بنيان دون القصور ، قال الضّحاك: هي المساجد، وقال قتادة: القصور والمساجد . وأما التماثيل فقال عطية الصّوفي والضّحاك والسدي : التماثيل والصور ، قال مجاهد : وكانت من نحاس، وقال قتادة من طين وزجاج [٢٧] .

وهذا يدل على أن صناعة التّماثيل والصّور بكل أشكالها : الانسان والحيوان والطيور مباحة في شرائع الأنبياء ، والقاعدة الأصولية تقول : "شرع ما قبلنا شرع لنا" . وعليه فإن الصور والتماثيل حينما تكون شكلاً من أشكال البناء والزخرفة ، فهي من فنون الجمال الذي صرّح به الإسلام وأجازه شرعنا الحنيف.

كما أن القرآن الكريم تحدث عن تماثيل الأحياء في معرض معجزات نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل ، أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيراً بإذن الله﴾ [٢٨] .

وفي ذلك يقول ابن كثير في تبيان معجزة عيسى عليه السلام أنه كان يصّور من الطين شكل طير ثمّ ينفخُ فيه فيطير عياناً باذن الله عزّ وجل ، جعل هذا معجزة له تدل على أنّه أرسله ، لهذا عيسى عليه

السلام بعث في زمن الأطباء ، وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات ما لا سبيل لأحد اليه ، إلا أن يكون مؤيّداً من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد فلو كان صناعة الطين كهيئة الطير محرّمة [٢٩] . كما يزعم بعض الجماعات الإسلامية اليوم : فكيف أجيز لنبي الله عيسى أن يصنع من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً يطير بإذن الله ؟ وعليه فإن تصوير الأنبياء والعلماء من الأمور التي وردت عند المسلمين كما يقول القرطبي [٣٠] .

"فإذا كان صناعة الصور والتماثيل مجافية لعبادة الأصنام فهي من مندوحات الدين ومن جماليات التصوير والزخرفة والفنون المباحة ، فقد جعل الله عمل نبي الله عيسى بصناعة الطين وغيره نعمة من نعم الله عليه".لهذا فإذا كان التصوير والتماثيل للأحياء فناً جميلاً . وحينما يكونان سبيلاً للشرك وعبادة الأوثان فهما محرمان قطعاً كما أسلفنا.

لقد ذكر الدكتور محمد عمارة أنّ تنمية الحاسة الفنيّة لدى المسلمين مركزاً من مرتكزات الحضارة الإسلامية وفي ذلك يقول: وإذا انتقلنا في هذه القضية من مجال التصميم إلى ميدان الدراسة الواقعية، رأينا كيف امتلأت صور القرآن الكريم بما نسميه في الدراسات الأدبية والفنية بـِ "التعبير بالصور" ، أي رسم الصّورة الحسيّة كي تعبر بها آياته عن المقولات والمعاني والأفكارفنحن في القران أمام لوحات تعبر بالصور المرئية والمحسوسة عن المعاني والمقولات أي التمثيل والتصوير" [٣١]. هذا هو موقف القرآن من الفنون التشكيلية.

هاكم هذه الصورة التي يعبر بها القرآن عن الذين كفروا ضياع أعمالهم في صورة حسية و يرسمها في لوحات فنيّة حيّة تقارب الواقع فأعمال الكفار مثل رماد هبت عليه الرّيح العاصفة يقول تعالى : ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدّت به الرّيح في يوم عاصف ،لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال المبين﴾ [٣٢].

ويصور القرآن العظيم الناس الذين استعانوا بغَير الله وركنوا إلى غيرهم بـــأنهم ضـــعاف مثـــل العنكبوت الذي اتخذ بيتاً ضعيفاً هشّاً وفي هذه الصورة الحيّة النابضة بالحركة تظهر الصور الفنية المعبرة عن هذ الواقع ، يقول تعالى : ﴿ مثل الذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخـــذت بيتـــا، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ (٣٣).

وهكذا تتحالف هذه السبل من التعبير الجمالي والتربية الجماليّة مع صريح موقف القرآن الكريم من التماثيل والصّور كنشاط جمالي على بيان الموقف الحقيقي للقرآن الكريم من فنون التّشكيل الجمالي رسماً ونحتاً وتصويراً... وهو الموقف الذي فيه نعمة من نعم الله وآيةٌ من آياته، إذا أمن الناس الشرك والتعظيم لغير الله (٣٤) .

موقف السنة النبوية :

لقد ركّز المحرّمون للتصوير من بعض الجماعات الإسلامية على نصـــوص لأحاديـــث شـــريفة ظاهرها تحريم التّصوير والنّحت إطلاقاً، والحقيقة مختلفة، لقد كان التحريم للصّور التـــي تشـــكّل عبـــادة للأوثان والأصنام. والعرب كانوا على عهدٍ قريبٍ يعبدونها من دون الله، أي كان النّهيُ والتحريم في البيئة الوثنية التي كانت تقدّس تلك الأصنام والأوثان وتجعلها آلهةً تُعبد .

ومن هنا كان النّهي عن هذه الصور نهياً عن الوثنية ودعوةً إلى تنقية المنازل والأندية من صور الأصنام المعبودة في الجاهلية، وسعياً كما يقول الدكتور محمد عمارة: " لاجتثاث جذور المرض الـــوثني وذلك حتى تبرأ هذه الجماعات البشرية تماماً من الشّرك والتّعددية ، فتخلص العبوديّة لله وحده ، وترســـخ في قلوبها عقيدة التوحيد " (٣٥). ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها تروي الحـــديث فتقـــول : " قـــدم رسول الله "ص " من سفر ، قد اشتريت نمطاً (ثوباً) من صـــوف فيه صورة ، فسترته على سهوة بيتـــي (السهوة : الرف ، أو الطاقة) فلما دخل صلى الله عليه وسلم كره ما صنعت وقال تسترين الجدر يا عائشة ، فطرحته ، فقطعته مرفقين (وســـادتين) فقالت : رأيته متكئاً على إحداهما وفيها صورة (٣٦).

فكراهة الرسول "ص" قد ارتبطت بكونها ترفاً يستهدف مجرد ستر الجدر ، وبكونها بهذا الوضع في مثل هذا الموقع مما يستقبله المصلي فتشغله فلما انتقلت الصورة إلى الوسادة ، لم يكرهها رسول الله "ص" ولم ينه عنها . بل استخدم الوسادة وفيها صورة كما تقول السيدة عاشة في هذا الحديث [٣٧] .

ويؤكد هذا التصوير حديث الصحابي أنس بن مالك وهو خادم رسول الله "ص" العارف بشؤون منزله الذي قال في هذا الحديث : "كان ستراً لعائشة قد أسترت به جانب بيتها، فقال رسول الله "ص" أميطي عنا قرامك أي سترك هذا ، فإنه لا تزال تصاويره تُعرض لي في صلاتي " [٣٨]. فالنهي خاصّ ومعلّل ، لمكان وضعه . والسبب في إزالته هو أنّ تصاويره تعرض أمام الرسول "ص" إذا قام للصلاة ، أي أنّ العلة هي قصد الإبتعاد عمّا يشغل المصلي عن الصلاة. " ولذلك فعندما تزول هذه الشبهات وهذه المظان وهذه المحاذير والعلل عن الصّور والتّماثيل، يتغير الحكم من التحريم إلى الإباحة. فليس قصد الرسول "ص" هو تحريم الصّور والتّماثيل إذا كانت فنّاً جميلاً يرتقي بالحاسة الفنية والمشاعر الجميلة للإنسان لمجرد أنها فن ، وبعلة أنها صور وتماثيل [٣٩].

وإذا كان القرآن الكريم حدّثنا عن نعم الصور والتماثيل على سليمان وعيسى عليهما السلام باعتبارهما من نعم الله عليهما . فإن النبي "ص" يحدّثنا عن سوق في الجنة كل بضاعتها صور النّساء والرجال. ففي الحديث الذي يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، يقول الرسول "ص" " إن في الجنة سوقاً ، ما فيه بيع ولا شراء إلاّ الصور من النساء والرجال، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها" ومن ثَمّ فهذه حلال، بل ونعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على الصالحين من عباده في جنات النعيم [٤٠].

وحينما برأ المسلمون من علة عبادة الأصنام تغيرت نظرة المسلمين للصور والتماثيل ، فعندما دخل المسور بن مخرمة على عبد الله بن عباس يعوده في مرضه ، فرأى عليه ثوب استبرق وبين يديه كانون عليه تماثيل، قلت : فما هو الكانون الذي عليه الصّور؟ فقال ابن عباس: ألا ترى كيف أحرقناهما

بالنار [٤١]. فابن عباس يقول أنّ علّة التحريم هي التعظيم والعبادة لها من دون الله ، وحينما أمن الناس عبادة الصور وغدت مجرد حلية وتزيين ، فإنه لا تحريم فيها. وعندما ينزع الصحابي أبو طلحة مخيطاً أي ثوباً من صوفٍ ستراً على فراشه، فيسأله الصحابي سهل بن حنيف: لم تنزعه؟ فيقول: لأنّ فيه تصاوير، فيرد عليه سهل بن حنيف قائلاً: أولم يقل رسول الله "ص" إلا ما كان رقماً في ثوب [٤٢].

فنعلم من ذلك أن النهي عن الصور ليس مطلقاً. فإذا كانت الصور رقماً في ثوب أي نقشاً فيه بزينة ويجمله فلا نهي عنه في هذا الحال. ولا تحريم له، إذ علة التحريم أن تكون مرتبطةً بالوثنية والشرك والعبادة.

ومن الأحاديث التي ظاهرها تحريم التصوير، ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله "ص": "ومن أظلم ممن يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، وليخلقوا شعيرة" . صحيح البخاري. وكذلك حديث عائشة رضي عنها، روت عن رسول الله "ص" أنه قال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة، الذين يضاهئون بخلق الله". فيورد الطبري كما ذكر ابن حجر العسقلاني ، بأن المراد من التصويرهنا ، من يصوّر ما يعبد من دون الله، وهو عارف بذلك ، قاصدا له ، فإنه يكفر بذلك أما من لايقصد بذلك، فإنه يكون مباحاً. [٤٣]

إذاً فالسنّة النّبوية مثلها مثل القرآن الكريم لا تُحرِّم الصور والتماثيل على التعميم والإطلاق، وإنما التحريم فيها مشروط بالمواطن التي تصبح فيها الصور والتماثيل شراكاً للشرك وحبالاً للوثنية وسبيلاً لتعظيم غير الله .

أمّا إذا كانت للمنفعة وتجميل الحياة وزينتها المشروعة ، وتخليد القيم الفاضلة وتزكيتها، وتنمية مشاعر الجمال الإنسانية، فإن موقف السنة النبوية يصبح معها لا ضدها ، لانها بذلك تنتقل من الأمور الضارة أو الفاسدة لتصبح من نعم الله على الإنسان.

النقود الإسلامية والتصوير:

ومن المظاهر التي تدلّ على شيوع التصوير والنحت على امتداد التاريخ الإسلامي، وجود صور الملوك والخلفاء والحيوان والنبات على تلك النقود، وتعامل بها الرسول "ص" والخلفاء و الأمراء.

فالنقود وثائق تاريخية رسمية لا يمكن الطعن بها، ومن ذلك:

- أقرَّ الرسول "ص" النقد البيزنطي الذي كان متداولاً، واستعمله لتنظيم جباية الزكاة، ولذلك وردت في القرآن والحديث أسماء هذه النقود، وكذلك تعامل الرسول "ص" نفسه بها وكانت هذه الدنانير تحمل في وجهها صورة هرقل، فقد رُوي أن قيصر الروم هرقل أرسل إلى الرسول "ص" دنانير ذهبية، فأخذها وقسّمها غنيمةً [٤٤].

- واستمر تداول المسكوكات الأجنبية في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه (ت١٣هـ/٦٣٤)[٤٥] .

- وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣هـ/٦٤٣ م) ، فلساً على طراز عملة هرقل سنة ١٧هـ/ ٦٣٨ م. وعليها صورة كل من الإمبراطورين هرقل الأول وقسطنطين الثاني، ونقش عليه اسمه [٤٦].

وكذلك كان الأمر زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت٣٥ هـ/٦٥٥ م) وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت ٤٠ هـ /٦٦٠ م). وزاد على درهمه كلمة محمد "ص"، وعلي ولي الله [٤٧] .

- أما النقود في العهد الاموي (٤١-١٣٢هـ /٦٦١- ٧٤٩م) فكان معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ ه /٦٧٩ م) أول خلفاء الدولة الأموية الذين أولوا النقد أهمية كبرى ، لأنه استعمله سلاحا سياسيا يرمز للقوة والشرعية. وكان معاوية أول من حفر صورته على النقود، ونقش عليها عبارة (معاوية أمير المؤمنين) وأضاف عبارة باسم الله – ربي. وذكر المقريزي أن الخليفة معاوية ضرب أيضاً دنانير ذهبية ، ونقش عليها صورته ، وهو متمنطق سيفه. [٤٨].

– وقد تبعه الخليفة عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ/٧٠٥م) فضرب سنة (٧٥هـ/٦٩٧م) ، درهما عربياً نُقش في مركز الوجه صورة الخليفة عبد الملك واقفاً يتمنطق السيف رمز الإمامة والجهاد. وكتب إلى يساره بالخط العربي أمير المؤمنين– وإلى يمينه عبارة خليفة الله. وقد ظهرت صورة الملك ،وهو يلبس كوفية عربية تتدلى على كتفيه ، وله لحية طويلة ، وكتب على وجه آخر باسم الله ، لا إله إلا الله وحده، محمد رسول الله.

– وفي زمن الدولة العباسية ، حدث بعض التطور [٤٩] في نظام الدنانير الذهبية، عندما أمر الخليفة هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٨م) أن يكتب اسمه ، واسم ابنه عليه. [٥٠]

– كما أن الخليفة الأمين (ت٢٠٨هـ/٨١٣م) ظهرت صورته أول مرّة على عملات الذهب عبارة: ربي الله، الخليفة الأمين. [٥١]

– كذلك سكّ الخليفة العباسي المتوكل بالله (ت ٣٤٧هـ/٨٦١ م) نقوداً، وعليها صورته، وعلى الوجه الثاني صورة رجل يقود جملاً. [٥٢]

– وظهر أيضاً التصوير في سكة المقتدر بالله (ت ٣٢٠هـ/٣٩٠٧) والتي رُسم على أحد وجهيها صورته، وعلى الوجه الثاني رسم شخص يعزف على آلة موسيقية.

وظهر درهم فضي رسم على وجهه صورة الخليفة المقتدر بالله وهو يركب فرساً، وعلى جانبي الصورة سجل اسمه. [٥٣] والأمر كذلك كان في بقية عصور الدول الإسلامية المتتابعة.

كذلك اكتشفت مسكوكة تعود إلى الملك العادل محمود نور الدين زنكي ، وتظهر صورته بكامل جسمه واقفاً وقد كتب على يساره ملك الأمراء وعلى يمينه محمود.

وغيرها من نقش النقود التي عليها صور الخلفاء والأمراء، والحيوان والنبات.

موقف العلماء الذين أباحوا التصوير

نجد كثيراً من أئـــمة الفقه والتفـــسير أباحوا الفنون ســـواءً أكانت غناءً أم موسيقى ، وكذلك التصوير والنحت ، منهم ابن حزم والغزالي والقرافي، ومكي بن حمـــوش والنحـــاس والقرطبـــي والطبـــري وغيرهم.

-فالمفسر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (ت ٣٣٨ هـــــــ /٩٥٠ م) يحدثنا عن قوم من المفسرين والفقهاء قد قالوا : إنّ عمل الصور جائز ، وأنهم استدلوا بالآية التي جعلت مـــن صنع التماثيل لنبي الله سليمان عليه السلام من نعم الله " واستدلوا كذلك بصنع المسيح عيسى ابـــن مريم عليه السلام بأمر الله لتماثيل الطير ، فعيسى قد صنع تماثيل للطير من الطين .[٥٤]

-ويحدثنا المفسر الأندلسي مكي بن حموش (ت ٤٣٧ هـــــــ / ١٠٤٥ م) في كتابه (الهدايـــة إلى بلوغ النهاية) وهو سبعون جزءاً في معاني القرآن وتفسيره ، يحدثنا عن فرقة مـــن العلمـــاء تجوّز التصوير مستدلة بهذه الأدلة ذاتها .[٥٥]

-والامام القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـــــــ /١٢٧٤ م) يشـــير إلى اجتهاد فقهاء المذهب المالكي بجواز التماثيل . فقد ثبت عن عائشة أم المؤمنين ، أن النبـــي " ص" تزوجها وزفّتْ إليه، وهي بنت تسع ولعبتهـــا معهـــا . قالـــت :كنـــت ألعـــب بالبنـــــات (الدمـــى/العرائس) عند النبي " ص "، وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكان رسول الله " ص " إذا دخل ينقمعن أن يتغيبن مختفيات وراء الستر منه ، فيسر بهن (يبعثهن إلي فيلعبن معي) .[٥٦]

ويعقب القرطبي على هذه القضية فيحكي أن العلماء قد أباحوا الدمى واللعب بها ، للـــدور الـــذي تقوم به في التربية ، وخاصة تربية البنات ، حيث يتدربن على تربية أولادهـــن منـــذ الصـــغر ، بالألفة التي تنشأ بينهن وبين دمى العرائس والأطفال .[٥٧] فعندما تكون المنفعة مادية أو جمالية أو كلتاهما معاً فإن الإجتهاد الإسلامي يبيح فنون التشكيل.

بل نجد الفقيه الأصولي الإمام القرافي، أبـــا العباس أحمد بن إدريس (ت ٦٨٤ هـــ/ ١٢٨٥ م) أباح الاشتغال بفن النحت والتصوير ، وليس مجرد الإفتاء بإباحته فقط، بل تحدث عن ممارسته لفن صناعة التماثيل، فقال في كتابه (شرح المحصول) : بلغني أن الملك الكـــامل (ت ٦٣٥ هـــــــ /١٢٢٨ م) وضع له شمعدان – وهو عمود طويل من نحاس له مراكز يوضـــع عليهـــا الشـــمع للإنارة – كلما مضى من الليل ساعة انفتح باب منه ، وخرج منه شخص يقف في خدمة الملـــك ، فإذا انقضت عشر ساعات (أي حان وقت الفجر) طلع شخص على أعلى الشمعدان وأصبعه فـــي أذنه وقال : صبح الله السلطان بالسعادة ، فيعلم أن الفجر قد طلع .

ويحكي الإمام القرافي عن هذا الشمعدان ، الذي استخدمت فيه التماثيل – تماثيل الإنسان – آلة يقاس بها الزمن وفيها الحركة والصوت معاً . ثم يعقب فيتحدث عن تجربته هو في صنع شمعدان مماثل له ، إلى جانب تمثال الإنسان ، تمثال اسدٍ فيقول : " وعملت أنا هذا الشـــمعدان ، وزدت فيـــه ، أن الشمعة يتغير لونها كل ساعة ، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشـــديد إلـــى الحمرة الشديدة . وفي كل ساعة لها لون فإن طلع شخص على أعلى الشمعدان ، وأصبعه في أذنه ، يشير إلى الآذان ، غير أني عجزت عن صنعة الكلام " . [٥٨]

كما أن المسلمين حينما فتحوا البلدان والانصار مثل مصر والعراق والهند، فوجدوا فيها التماثيـــل والمنحوتات ، فلم يقوموا بتدميرها، بل حافظوا عليها، وأبقوها تراثيا إنسانيا خالداً، وهذا يدل علـــى اهتمام المسلمين بالفنون عموماً ، ولا سيما النحت والتصوير والزخرفة.

رأي علماء العصر الحديث

ومن العلماء المحدثين الذين أباحوا التصوير والفنون الجميلة وباركوها الشيخ محمد عبده ، فيصف مباركة الإسلام للفنون الجميلة ، منبهاً على دور فنون التشكيل رسماً ونحتاً وتصويراً ، ودورها النافع والضروري في تسجيل معالم الحياة وحفظها ، وفي ترقية الأذواق والحواس ، والإقتراب بالإنسان من صفات الكمال.

فلقد عرض الشيخ محمد عبده لهذه القضية ، قضية دور الفنون التشكيلية في حياة الأمة الإسلامية ، أثناء سياحته في جزيرة صقلية سنة ١٩٠٣ م. ففي صقلية زار المتاحف والمقابر ومواطن الآثار التي تحفظ وتحكي بالصور والتماثيل آثار الغابرين وكأنها من سجلات التاريخ.

ثم يعرض للحديث عن منافع هذه الفنون ودورها في حفظ تراث الأمة على مرّ الأزمنة ، وما يعنيه ذلك من حفظ للعلم والحقيقة ، والتاريخ، كي تظل شاهدة فاعلة بمن يأتي من أجيال، فحفظ الآثار بالرسوم والتماثيل هو حفظ للعلم والحقيقة، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها ". [٥٩]

ثم يقول : " لقد نهى الرسول "ص" عن الرسوم والصور والتماثيل لأنها تُتخذ عبادة من دون الله . أما الآن وبعد زوال هذا الخطر بالكلية . وبعد أن لم تعد الرسوم والتماثيل مظنّة شبهة للعبادة والتعظيم الديني . وبعد أن وضحت وتأكدت منافعها في ترقية أذواق الأمة وحفظ حقائق تاريخها وعلومها ، فإن رضاء الإسلام ومباركته لها ، أمر لا شك فيه " .[٦٠]

وفي فتوى شرعية يصدرها الشيخ محمد عبده في إباحة التصوير والنحت فيقول ، وبالجملة فإنه يغلب على ظني أن الشريعة الإسلاميّة أبعد أن تحرّم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، وبعد تحقيق أنه لا خطر فيه على الدين ، لا من جهة العقيدة ، ولا من جهة العمل ، وليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيد، ورسم صورة الإنسان والحيوان لتحقيق المعاني العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية ".[٦١]

– كما ونجد العالم المجتهد المفكر الدكتور محمد عمارة يجيز التصوير والنحت ويباركه ، وذلك في معرض حديثه عن ممارسة الشيخ القرافي للنحت والتصوير فيقول : " فهذا فقيه مجتهد ، وأصولي بارز يمارس صناعة الفن التشكيلي ، فكان مثّالاً يصنع تماثيل الإنسان والحيوان ، وفي صنعته هذه تتتابع وتتعدد الألوان جمالاً ينفع الإنسان المنفعة المادية والجمالية كليهما . وهكذا فإلى جانب الذين صنعوا التصوير والنحت في تراثنا الفقهي ، كان هنالك الذين أباحوا هذا الفنّ ، بعد أن أمنت الأمة خطر الشرك وعبادة هذه التماثيل والصور . بل وكان هناك الفقهاء المجتهدون الذين مارسوا هذه الصناعة ، فكانوا فقهاء مجتهدين فنانين.[٦٢]

– ومن الذين أجازوا التصوير والنحت الدكتور عمر مختار القاضي في كتابه "فن النحت في الإسلام". فقد أباح فن النحت وصنع التماثيل فنراه يقول : " إنّ التحريم يقع إذا اقترن نحت الصورة ، أو صنع التمثال بنية الوثنية أي بقصد عبادته أو التوسط به إلى الله، أو مضاهاة الناحت لفعل الله الذي يخلق بحق ، ويبث في خلقه الروح والحياة . أما من غير الإقتران بإحدى هذه النوايا ، فإن الفعل يسقط عنه التحريم . وكذلك الأمر بالنسبة لإقتناء المنتج المنحوت أو المرسوم ، دون أن يكون مصحوباً بنية الشرك بالله أو التوسط إليه ، أو تصوير عمل المثّال بأنه كفعل الله الذي يخلق من العدم " . ثم يقول : " إن جميع النصوص التي تعرضت للأصنام[٦٣] تحرّم عبادتها أو التوسط بها إلى الله عز وجل . ولا نجد في القرآن الكريم آيات تتعرض لفعل النحت وصنع التماثيل في ذاته ".[٦٤]

ويعلل جواز النحت والتصوير وعمل التماثيل فيقول : "ولقد شاء الله أن يكون صانع التمثال نبيه عيسى عليه السلام ، والله كان يستطيع أن ينّحي نبيه عن هذا الفعل ، فيظهر للناس مخلوقات تنشأ من العدم ، دون أن يمسها الإنسان بيده ".[٦٥]

وفي أهمية الفنون والزخارف والتصوير ، يقول الدكتور إسماعيل الفاروقي : " إن للإنسان دوراً إيجابياً في الحياة، وبأنّه فاعل مشارك في فعل الإبداع ومنها العمارة ، بوصفها مهما من نشاطه . وإذ لم

يكن الإنسان في الإسلام هو موضوع الفن ، فهو على الأقل مبدعه ، فالفنون النفعية تسهم في رفع شـــأن الإنسان بوصفه خليفة الله في الإرض " ، فالإنسان مقياس الإبداع والتجديد في الأرض . [٦٦]

كما ويظهر تصوير الإنسان والحيوان والبنيان في أعمال العمارة والفنون الإسلامية المختلفة مثل قصر عمرة وقصر هشام بن عبد الملك في أريحا ، فالإسلام لا يمنع ولا يحرم كل ما يزيد الحياة حســناً وصلاحاً وفلاحاً .

ولقد روى الأزرقي في أخبار مكة : " أنّ النبي " ص " لمّا دخل الكعبة بعد فتح مكّة ، قال لشــيبة ابن عثمان : يــا شيبة أمح كل صورة فيها إلا ما تحت يدي، قال فــرفع يــده عن عيســى بــن مــريم وأمـــــه ".[٦٧]

ولم يبلغ فنّا النحت والتصوير ذروتهما في الحضارة الإسلامية مثلما بلغا في الأندلس، فنجد صور الإنسان والحيوان والنبات تزين المساجد والقصور والمدن وغيرها. فمن المشاهد الأندلسية أن عبد الرحمن الناصر بنى لجاريته الزهراء مدينة سماها باسمها ، ونقش صورتها على الباب ، وروى بعض المؤرخين أن ثلاثة أعمدة في مسجد قرطبة كانت عليها نقوش مصورّة : كان على الأول صورة عصــا موســى ، وعلى الثاني صورة أهل الكهف ، وعلى الثالث غراب نوح.[٦٨]

ويروي المغربي في كتابه نفح الطيب: أن قصر الزهراء كان مزيناً بأسدٍ عظيم بالغ الروعة وقــد طلي بالذهب ، وكان بهاء قصر الزهراء مزدانة بكثير من التماثيل والصور البشرية .[٦٩]

وهكذا نجد أن التصوير والنحت ظهر جلياً في العمارة الإسلامية من قصور وأبنيــة وزخــارف ومساجد وآنية نحاسية وزجاجية والسجاد وغيره . مما يدل على اهتمام المسلمين بالفنون عمومــاً والفــن التشكيلي خـــاصة .بل نجد الفنان المسلم يبرع في تصوير الملائــكة ، فقد أظهر الإمـــام القزويني فـــي كتابه القــيّم " عجائب المخلوقات " صوراً لسيدنا جبريل عليه السلام ولسيدنا ميكائيل عليه السلام ولسيدنا

إسرافيل عليه السلام. وهذا يدل على الحرية والإبداع للإسلام الذي أعطى الحرية للمسلمين كـــي يرتقـــوا بعلومهم وفنونهم مما يجعل المسلمون يفتخرون بحضارتهم.

نتائج الدراسة :

وبعد، فقد أظهرت هذه الدراسة أهمية التصوير والنحت في المنظور الإسلامي، وبينت ما يلي:

١- دحض مزاعم بعض العلماء، وبعض الفرق في تحريم الإسلام للتصوير والنحت والتماثيل.

٢- لم يتخذ القرآن الكريم من التصوير والنحت موقفاً معادياً بإطلاق وتعميم، بل أناط الأمر بالمقصود والغايات والنتائج.

٣- حرّم الإسلام الصور والتماثيل التي تكون وسائل للشرك وسبلاً ينحرف البعض بتعظيمها عن عقيدة التوحيد.

٤- بينت الدراسة أن أشهر الأحاديث التي تحرم التصوير هي الصور التي تشغل المسلم عن الصلاة والخشوع.

٥- وضّحت الدراسة أن منهج الإسلام في الجمال والفنون يقوم أن هذا الكون فيض من جمال ونور المكوّن وهو الله.

٦- أظهر هذا البحث شيوع التصوير والنحت على امتداد التاريخ الإسلامي .

٧- أماطت الدراسة اللثام عن وجود صور الخلفاء والأمراء المسلمين وكذا الحيوان والنبات على النقود الإسلامية.

٨- أظهرت الدراسة أن الفنون التشكيلية من نحت وتصوير وتماثيل تسهم في رفع شأن الإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض.

٩- كما أنّ صناعة النحت والتماثيل ووجود صور الأنبياء والعلماء كان مظهراً من مظاهر الإبداع والحرية للمسلمين.

١٠- إنّ الحملة الكيدية للفنون عامة والنحت والتصوير يعود إلى حالة الضعف والانكسار الذي تعيشه الأمة ، سواء أكان ذلك بحسن نية أو بغيرها.

١١- إنّ من يحرم التصوير والنحت، يعني تحريم أهم مقومات وتأثيرات الإعلام المعاصر من تلفاز وانترنت والتكنولوجية المعاصرة.

١٢- وهذا التحريم يعني تدمير حاضر الإنسان ومستقبله، وهذا ضرب من الجنون والتخريف الذي لا يقره عاقل ويرفضه الذوق السليم، ناهيك عن الإسلام الذي يحترم إبداعات الإنسان ومنها وسائل التكنولوجية الحديثة.

ولهذا فحتى تنهض أمة العرب والإسلام اليوم، فلا بدّ أن تراجع كل وسائل التخلف والإحباط، من الذين يريدون تقزيم الأمة، ولكن لن يكون ذلك إلاّ باحترام الإنسان وتشجيع طاقات العلماء والأدباء والمفكرين والفنانين، وتفجير مكامن إبداعات الأفراد والجماعات النفسية واللروحية والعقلية والجمالية.

* منمنمة « حديث قرب المدينة » من مقامات الحريرى (ق ٧ هـ - ١٢٣٧ م) .

شكل (١)

عملة نقدية تظهر فيها صورة الخليفة عبد الملك بن مروان، وهو يلبس كوفية عربية تتدلى على كتفيه وله لحية طويلة.

والوجه الأخر كتب عليها، باللغة العربية بسم الله لا آله إلا الله وحده محمد رسول الله.

شكل (٢)

صورة يظهر فيها الملك وهو يفدي كبشا لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وصورة إسماعيل عليه السلام. وهذه الصورة موجودة في الأسواق مستخرجة من متحف العراق.

شكل (٣)

على اليمين صورة ملائكة الحفظة بالألوان.

وعلى اليسار صورة الملك اسرافيل عليه السلام. من كتاب عجائب المخلوقات، ج١/ص٩٥. عن منمنة من مخطوطة ميونخ مرسومة في واسط بالعراق سنة ٦٧٨هـ/ ٢٢٠٠م.

شكل (٤)

هوامش البحث:

١-انظر، دندل جبر، حكم الإسلام في الصـــور والتصوير ص١٩، الزرقاء- الأردن، مكتبة المنـــار(- ١٩).

٢-انظر، الشيخ بن عبد العزيز بن باز، التحذير من التصوير ص٣، الرياض، منشـــورات دار الـــوطن للنشر، (-١٤هـــ) .

٣- سورة الانفطار آية ٨.

٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصـــري. لســـان العـــرب، ٤/٤٧٣-٤٧٤,١٥ج.

٥ - سورة التوبة آية ٣

٦ - سورة الحجر آية ٨٢.

٧ - ابن منظور، المصدر السابق ٢/٩٧-٩٨.

٨ - دكتور محمد عمارة، الإسلام والفنون الجميلـــة. ص ١١٠ .بيـــروت- دار الشـــروق، ١٤١١هـــــ /١٩٩١م.

٩ - سورة الأعراف آية ٣٢.

١٠ - سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ٣/٥٠٤، بيروت، دار الشروق.

١١ - سورة الانعام ، آية ٩٧-٩٩.

١٢ - سيد قطب، مرجع سابق، ٣/٣١٠.

١٣ - سورة الصافات، آية ٦.

١٤ - دكتور محمد عمارة: مرجع سابق، ص ١٩.

١٥ - سورة فصلت، آية ١٢.

١٦ - سورة النحل ، آية ٥-٨.

١٧ - دكتور محمد عمارة ، ص١٩.

١٨ - سورة الأنبياء ، آية ٥١-٥٧.

١٩ - ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤/تفسير ابن كثير) ٣/١٨٤، بيـــروت، دار الفكر، ١٤٠١ هـــ، ١٩٨١م.

٢٠ - سورة الأنبياء، آية ٦٦-٦٧.

٢١ - ابن كثير، مصدر سابق ٣/١٨٤.

٢٢ - ابن منظور، مصدر سابق، ١١/٦١٤.

٢٣ - سورة إبراهيم آية ٣٥.

٢٤ – د.محمد عمارة، مرجع سابق، ص١١٦.

٢٥ – سورة الإسراء، آية ٨١.

٢٦ – سورة سبأ، آية ١٢-١٣.

٢٧ – ابن كثير ، مصدر سابق، ٢٦٦/١.

٢٨ – سورة آل عمران، آية ٤٨-٤٩.

٢٩ – ابن كثير، مصدر سابق، ٢٦٦/١.

٣٠ – القرطبي، الجامع في أحكام القرآن الكرين، ٢٧١/٤ القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية.

٣١ – د. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ١١١.

٣٢ – سورة إبراهيم ، آية ١٨.

٣٣ – سورة العنكبوت، آية ٤١.

٣٤ – د. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ١١٧.

٣٥ – د. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ١٢١.

٣٦ – أحمد بن حنبل – مسنده.

٣٧ د. محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ١٢٤.

٣٨ – أحمد بن حنبل، مصدر سابق.

٣٩ – د. محمد عمارة ، مصدر سابق ، ص ١٢٤.

٤٠ – أحمد بن حنبل، مصدر سابق.

٤١ – أحمد بن حنبل، مصدر سابق.

٤٢ – أحمد بن حنبل، مصدر سابق.

٤٣ – ابن حجر العسقلاني، شرح صحيح البخاري، ج٤٦٩٠/١٠، بيروت.

٤٤ – انظر، الدكتور الياس البيطار تطور الكنايات والنقوش على النقود العربيّة. ص ٤٥.

٤٥ – الياس البيطار، مرجع سابق ، ص٤٧.

٤٦ – إلياس البيطار، مرجع سابق، ص٤٧.

٤٧ – إلياس البيطار، مرجع سابق، ص ٥٠.

٤٨ – الدكتور نايف القسوس، مسكوكات الأيوبيين في بلاد الشام، ص٣٤، عمان– منشورات البنك العربي ١٩٩٦م.

٤٩ – انظر، الدكتور نايف القسوس، مرجع سابق، ص٥٠.وإلياس البيطار، مرجع سابق، ص٦٦.

٥٠ – إلياس البيطار، مرجع سابق ص٧٢.

٥١ – إلياس البيطار، مرجع سابق ص٧٢.

٥٢ – إلياس البيطار ، مرجع سابق ص ٨٩.

٥٣ – إلياس البيطار مرجع سابق ، ص١١٢.

٥٤ – أنظر محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

٥٥ – القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٤ م) ، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٤ .

٥٦ – القرطبي ، مصدر سابق ، ج ٢٧٢/١٤ .

٥٧ – القرطبي ، مصدر سابق ، ج ٢٧٤/١٤ – ٢٧٥ .

٥٨ – محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

٥٩ – أنظر الأعمال الكاملة محمد عبده ، ج ٢ / ٣٠٤ ، بيروت ، طبعة بيروت ، ١٩٧٢ .

٦٠ – محمد عبده ، مصدر سابق ، ج٢ ٢٠٥ .

٦١ – محمد عبده ، مصدر سابق ، ج٢ ٢٠٥ .

٦٢ – محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

٦٣ – الدكتور عمر مختار القاضي ، فن النحت ، ص ١٨ ، المغرب ، مطبعة دير بكر ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ، ١٤١٦ هـ /١٩٩٦ م.

٦٤ – الدكتور عمر مختار القاضي ، مرجع سابق ، ص ٩ .

٦٥ – الدكتور عمر مختار القاضي ، مرجع سابق ، ص ٩ .

٦٦ – الدكتور إسماعيل الفاروقي ، الإسلام والفنون ، ص ٤٩ ، ترجمة وفاء إبراهيم ، القاهرة ، دار غريب ، ١٩٩٩ م .

٦٧ – أنظر محمد عبد الواحد حجازي ، فلسفة الفنون في الإسلام ، ص ١٥٣ ، الإسكندرية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٩٩٩ م .

٦٨ – محمد عبد الواحد حجازي ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

٦٩ – محمد عبد الواحد حجازي ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

٧٠– وثيقة شكل (١) منمنة صور اناس من مقامات الحريري.

٧١– وثيقة شكل (٢) عملة نقدية تظهر فيها صورة الخليفة عبد الملك بن مروان.

٧٢– وثيقة شكل (٣) صورة تظهر فيها صورة الملك يفدي كبش الله النبي ابراهيم عليه السلام.

٧٣– وثيقة شكل (٤) صورتان تظهر في الأولى صورة ملائكة الحفظة، والثانية الملك اسرافيل.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م ، تحقيق عبد الرؤوف سعد وآخرون **شرح صحيح البخاري**، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية/، ٢٢ج.

- ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) ، **مسند أحمد بن حنبل**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨/١٩٧٨، ٦ج.

- ابن كثير، أبو الفداء، اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/٢٣٧٢م) **تفسير ابن كثير**، بيروت دار الفكر،١٤٠١ه/١٩٨١م

- ابن منظور ، أبو الفضل، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، **لسان العرب**، بيروت ،دار صادر، (-١٩)،١٥ج.

- باز، عبد العزيز، **التحذير من التصوير**، الرياض، دار الوطن للنشر، (--١٩).

- البيطار، إلياس، **تطور الكتابات والنقوش على النقود العربيّة**، دمشق، دار المجد للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

- جبر، دندل، حكم **الإسلام في الصور والتصوير**، الزرقاء، الأردن، (١٩٠٠)

- حجازي، محمد عبد الواحد، **فلسفة الفنون في الإسلام**، الاسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.

- عمارة، محمد، الإسلام **والفنون الجميلة**، بيروت، دار الشروق، ١ (١٤هـ/١٩٩١)

- الفاروقي، إسماعيل، **الإسلام والفنون**، ترجمة وفاء إبراهيم القاهرة، دار غريب،١٩٩٩م.

- القاضي، عمر المختار، **فن النحت**، المغرب، مطبعة دير بكر، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي **الجامع في أحكام القرآن** (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م، القاهرة، دار القلم، ١٣٨٦هـ/١٩٩٦م. ٢١ ج.

- القسوس، نايف، **مسكوكات الأيوبيين في بلاد الشام**، عمان، منشورات البنك العربي، ١٩٨٦م.

- قطب، سيد، **في ظلال القرآن الكريم**، بيروت، دار الشروق، (--١٩)، ٨ ج.